فاستعمل المديح دعاء لله خالقه يشهد بفضله ما عاش ، وليس سواه من خالق .

وأبو العتاهية أكثر من مديحه للإله جلّ وعلا ، فكان الزاهد المتعبد الموحد :

أيا عجباً كيف يَعْصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحِدُ
وفى كل شىءٍ له آية تدلّ على أنه الواحدُ

فهو يرى عظمة الإله فى كل شىء ، مما يلمح وينظر ، وهو يحمده ويعبده كما فعل حسان سواء بسواء فقال :

لك الحمد يا ذا العرش يا خير معبُودِ ويا خير مَسْئُول ويا خير مَحْمُودِ
شهدنا لك اللّهم أن لست محدثاً ولكنك المولى ولست بِمَجْحُودِ
وأنك معروف ولست بموصوف وأنك موجود ولست بمحدودِ

ويضيف فى قوله كما نرى الفكرة التى بلغت إلى أبناء عصره من نظرة جديدة إلى الإله ، وفلسفة جديدة فى الوجود ، وتعابير طرأت على هذا الضرب من المديح حتى كانت نواة للتصوف فيما بعد .

وقد كان كثير من الشعراء يشاركون فى هذا المديح الدينى ، يكبرون الجمال والكمال فى خلق الله ، كما فعل أبو نواس حين وصف النبات ، وكما فعل ابن الرومى وأبو فراس . وقد تطور هذا المديح حتى أصبح أقرب إلى النسيب حين ينشد الشعراء المتصوفة فى حب الإله ، ويرمزون إليه بالحبيب ، ويغنون فى عشقه والتقرب منه ، فيجدون فيه نوراً وأصلاً وسبباً ، ويدخلون الفلسفة والعقل والتصور فى شعرهم ، فيخرج ذلك من حدود المديح الخالص إلى فن التصوف ، وله كما قلنا كتاب خاص يبحث فيه ، تجد فيه الهيام بحب الله والاستغاثات والأدعية وغيرها مما تجده فى كتب المتصوفة ودواوينهم كابن الفارض وابن عربى والحلاج وفى شطحات هؤلاء العلماء .